السفير العربي

جريدة لبنان في الوطن العربي وجريدة الوطن العربي في لبنان

15

الخميس 10 أيلول 2015 ـ الموافق 26 ذي القعدة 1436 هـ ـ العدد 13168

AS-SAFIR Arabic political daily - September 10, 2015 N° 13168

1 العلائق بين الناس والعمل والعمران: تبعات نقل المدابغ من المُقطّم إلى طريق صحراوي، وتشييد أبراج «نايل سيتي» مكان حي رملة بولاق الشعبي في القاهرة. والبيروقراطيون المصريون ينزلون الى الشارع.

2 الاحتجاج و«الإصلاح» في العراق، سياق وكيفيات قمع الحراك وإجهاضه، ودور النخبة المحبِط. وهل المشاركة في الانتخابات البلدية الثالثة في السعودية غاية بذاتها، وما طبيعة «التحسينات» التي أدخلت عليها؟

3 صفر هو مجموع طالبة في البكالوريا العامة في مصر، وهي عادة متفوقة، فما الأمر حقاً؟ ولماذا سمت الحكومة المصرية برنامجا للتطوير التعليمي بـ«صفر»؟ وكاريكاتير عن الهجرة.

4

القدس©: ماركة عالمية استعمارية

في العام 2013 استضافت مدينة القدس سباق السيارات العالمي الشهير «فورمولا وان». باتت حلبة سباق كبيرة استقطبت الآلاف لمشاهدة الحدث المثير. فجأة أصبحت المدينة المقدسة بعمرانها وأهلها الأصليين ديكوراً لـ «عجقة» عليَّة القوم. تقدم «المدينة» لنزلائها، أصيافاً وأشتية، شتى المهرجانات الترفيهية والثقافية المنتجة محلياً أو عالمياً، حتى يخال المرء نفسه في حاضرة أوروبية لا يعكّر صفوها شيء.

خلف واجهة تحديث وتمدين متشعبة، تعمل إسرائيل منذ عقدين على إعادة إنتاج القدس في المخيلة العالمية، عبر إحالتها حاضرة كوزموبولوتية معولمة جاذبة للاستثمار المحلي والأجنبي، ووجهة سياحية اكزوتيكية، فلا تقل شأناً عن باريس ولندن وبرلين. World City. القدس كماركة تجارية عالمية ــ إسرائيلية تدرّ أرباحاً لا تنضب على رأس المال الاستعماري، كأنما لا شأن له بكونها محتلة. بذلك أيضاً تخلق خطاباً ورمزيات تمسح المدينة العربية من الأذهان وتحيلها زخرفة استشراقية لمشروع استعماري ما فتئ ينتزع القدس من أهلها وتاريخها. إنه الخراب على هيئة حداثة.

خلية النحل محروقة

ليس عجيج السيَّاح بغريب عن القدس بمكانتها الدينية، وقد زاد عليها نهضتها الحضرية منذ أواخر الحقبة العثمانية مروراً بالاستعمار البريطاني، حيث استقت العلم والثقافة والاقتصاد من حواضر عربية أخرى وتبادلت معها. وما كان لاحتلال المدينة الجديدة (الغربية) في نكبة 1948 أن يحدّ من سيل الوافدين إليها، مستفيدة من مطار القدس الذي تطور في الخمسينيات، فكان أن أصبحت «القدس ومطارها أشبه بخلية نحل» عشية عيد الميلاد عام 1960 كما أفادت جريدة المنار المقدسية. جاءها عمر الشريف وفيروز وعبد الوهاب نجوماً، وزارتها الفرق الرياضية، وكانت وجهة للرحلات المدرسية من العراق وسوريا.

قلبت هزيمة 1967 الموازين جميعها باحتلال إسرائيل البلدة القديمة: عصب القدس الحيوي. سُدّت الطريق على الوافدين العرب وقُطع امتدادها مع محيطها، ما أدى إلى تراجعها كمركز عربي، وإن حافظت دينياً على مكانتها. بات القطاع السياحي محكوماً، ككل مرافق الحياة، بالسياسة الإسرائيلية التي استولت على أغلبية المتاحف والمواقع الأثرية في المدينة. شددت اسرائيل الطوق حول الأدلاء السياحيين الذين مُنعوا من العمل من دون ترخيص وزارة السياحة الإسرائيلية، ما يعني التزامهم بالرواية الصهيونية كشرط للعمل. أما باعة التحف الشرقية في البلدة القديمة، والذين يمثلون ركيزة أساسية في قطاع السياحة، فقد تناقص عددهم مع مرور السنوات بسبب الضرائب الباهظة واستحواذ الباعة الإسرائيليين على «كارِهم»، إذ يوجّه الأدلاء الإسرائيليون السيّاح إلى هؤلاء حصراً.

تركت الانتفاضتان والمواجهات الأثر العميق على هذا القطاع. بيد أن تقهقر السياحة الفلسطينية يعود بالأساس لعدم قدرتها على مجاراة نظيرتها الإسرائيلية. فمثلًا تشير الاحصائيات للعام 2013 بأن قرابة المليون ونصف المليون سائح نزلوا في فنادق القدس، 88 في المئة منهم في الفنادق الإسرائيلية و12 في المئة في الفلسطينية، علماً أن هناك 5817 غرفة فندقية في القدس الغربية مقابل 1969 في الشرقية، وقرابة 90 في المئة من عائدات قطاع الفنادق مصدره تلك الإسرائيلية. غياب البنية السياحية الفلسطينية في مدينة بمكانة القدس ليس عشوائياً، وإنما مردّه لغياب سلطة واقتصاد داعميّن، إذ تعتمد السياحة على رؤوس أموال شحيحة ومؤسسات عمل أهلي مرتكزة على التمويل الأجنبي في وقت تختفي وزارة السياحة الفلسطينية من المشهد برمّته. أما الأونيسكو ودوره في القدس كمدينة محتلة، ومعلنة كموقع تراثي عالمي، فتلك تبقى ترسيمات مرهونة بواقع سياسي محكم.

سياحة بلا سيادة؟

شكّل الاستيلاء على مطار القدس واحداً من أوجه تهاوي السيادة، إذ فُقدت السيطرة على نقاط الدخول والخروج إلى فلسطين. أدى ذلك الى خراب بالغ بطبيعة الحال للقطاعات المعيشية المختلفة في القدس، عزّزه لاحقاً عزل المدينة عن فلسطين مرة ثانية بموجب اتفاقية أوسلو وما تلاها من سياسات اسرائيل. استقت هذه من المنظومة العالمية النيوليبرالية صنعة تحويل الدول لمدنها الرئيسية «سلعاً تُباع وتُشرى»، وفقاً لدافيد هارفي. تشكل السياحة سوقاً أساسية لاستهلاك هذه المدن/ السلع، والتي عادة ما تُنتج ما يتلاءم ورفاهية الوافدين على حساب أهل المدينة.. بل والمدينة ذاتها.

هكذا وأينما يولِّي المرء وجهه في القدس اليوم، يجد الرافعات وأسفلها اللافتات التي تشير إلى مشاريع عمرانية كبيرة، من شقق فخمة ومجمعات تجارية عملاقة مروراً بحدائق «قومية» ومتاحف إلى قطارات وجسور حداثية. تعتمد هذه المشاريع على منطق الخصخصة والسوق الحرة التي تتيح لرأسمالية محلية وعالمية أن تستثمر في مشاريع ضخمة تغير من ملامح المدينة ومن بنيتها الاجتماعية والاقتصادية، وذلك تحت غطاء ربحي حيادي الطابع يشددّ على كونه غير سياسي. وفيما ترتئي النيوليبرالية ابراز دور الدولة كلاعب حيادي بلا نيات قومية، إلا أنها فعلياً وتحديداً في مجتمع استعماري كإسرائيل تُخضع حركة السوق لقيمها وأهدافها التمددية، وهي المَمسكة بزمام سلطة التنظيم والبناء وإقرار المشاريع من عدمه وفق اعتبارات سياسية محضة.

وقد يكون المشروع المدعو «القدس 5800» من أبلغ هذه المشاريع التي تتيح فهم الماكينة التي تحرث القدس. يقدم المشروع، الذي أُطلق في العام 2011 بتمويل خاص من رجل أعمال يهودي استرالي استثمر في السابق في بناء مستوطنات في قلب القدس «الشرقية»، تصوُّراً مُفصّلًا للمدينة كوجهة سياحية عالمية يُراد لها بحلول العام 2050 استقطاب عشرة ملايين سائح أجنبي ومليونين محليين. تقارن هذه الخطة ما بين القدس وروما كمدن سياحية عالمية، وتدفع بالأولى لتصير مثل الثانية. ولذلك يعد العدة لاقامة مطار يصل القدس بالعالم مباشرة على مقربة من البحر الميت. إلى جانب ذلك، يُنتج المشروع القدسَ كحاضرة كبرى ستشمل بيت لحم ورام الله وأريحا والمستوطنات التي تحوطها «على حدّ سواء».

مردّ العنف التأسيسي المتأصل في هذه المشاريع العمرانية الضخمة هو تلك المخيلة الامبريالية الخصبة، التي تغطي الواقع بخرائط تلغي السكان والتاريخ والبنيان والثقافة، وتخطط قافزة فوق هذه «المعوقات». هكذا، تتخيل مشاريعهم أنفاق تحت البلد القديمة لقطار تحتي ومصاعد زجاجية عملاقة، وتعد لبنائها، وتبغي تحويل كل المناطق حول البلدة القديمة إلى فنادق وإغلاقها أمام حركة السير، بما يعنيه ذلك من قتل لنمط الحياة الفلسيطينية والملامح التي تجعل من القدس العربية ما هي عليه. وفي وقت تبشر به أهل المدينة جميعهم برفاهية وغنى، يمعن الفلسطيني في الغرق في الفقر والانبلاع في قلب منظومة عملاقة لا تتوقف عن سحب البساط من تحت قدميه يومياً.

سيميائية الاستعمار

على مدى أسبوع كامل، كل حزيران/يونيو، وما أن يسدل الليل ستاره على القدس حتى تبدأ مولدات ضوء عملاقة تعكس أشكالًا وصوراً على أسوارها ومبانيها الأثرية. هو «مهرجان الأنوار» الذي تنظمه بلدية القدس تقليداً لشبيهيه في ميلانو وأمستردام (وغيرهنَّ)، والذي لطالما أثار جدلًا في فلسطين لاستحواذه على الحيز العام الفلسطيني ولعرضه أشكالًا تهويدية على أسوار المدينة العربية. تُستقى هذه التصويرات الضوئية من منطق أوسع يعتمد فكرة عن مدينة «لا تتناقض مع تاريخ(ها) فحسب بل مع واقعها المعيش، وتحويلها إلى ما يبدو واقعاً مركزياً موحداً (وأبدياً) في حياة اليهود في العالم»، كما كتب ادوارد سعيد عام 1995 في مقالته «تصوير القدس» (Projecting Jerusalem).

كان صاحبُ الاستشراق وابن المدينة وفاقدها قد تنبّه باكراً إلى دور الخيال والسيميائيات في عملية إنتاج القدس كمدينة اسرائيلية: التصوير أولًا ومن ثم البناء والتهجير لاحقاً.. وبدايةً النكبة، مستحضراً بذلك شقّ المدينة المحتل عام 1948 والمُغيَّب كجزء من المدينة المحتلة. تناول نصه مهرجان «القدس 3000»، الذي استمر لخمسة عشر شهراً احتفاءً بمرور 3000 عام على احتلال الملك داود القدس! اعتمدت المدينة مذاك الملك داود رمزاً متنامياً في الحيز العام المقدسي، بما أسماه بعض الباحثين بظاهرة «داودية» القدس. حمل عدد من الفنادق والشقق الفاخرة اسمه وأقيمت «مدينة داود» المتخيلة على هيئة بارك سياحي ضخم في حيّ سلوان الطريد. وحُوِّلت قلعة القدس المملوكية الواقعة في الجدار الغربي لسور المدينة إلى متحف «قلعة داود». كما أطلق اسم «برج داود» على أحد أبراج القلعة الذي بات يعلو العديد من الدعايات التسويقية لمشاريع عمرانية ولمهرجانات، كأنما يُراد به القول أنه «لدينا نحن أيضاً برج.. كبرج إيفل»!

يتوازى إنتاج الرموز الاستعمارية بالاستيلاء على الأخرى الأصيلة، الراسخة في المخيلة العالمية والعربية، وأهمها قبة الصخرة المذهَّبة والبلدة القديمة بأسواقها المزدحمة والتي لا تنضب حركتها برغم الخنق الإسرائيلي. تُدفع هذه لتكون مجرد ديكور لمشاريع حداثية دونما أي التفات لمخزونها التاريخي، فنرى قبة الصخرة تظهر في الشريط التسويقي لـ «فورمولا وان» كرمز منزوع السياق. ليست السياحة سوقاً مادية استهلاكية فقط إذاً، وإنما هي مُفسَحاً لخلق خطاب وقصّ حكاية من دون غيرها.. إنها ممارسة فذّة لسلطة معرفية استعمارية. لذلك كله، أُفردت هيئات سياحية متخصصة للبحث والتحليل وإجراء استطلاعات رأي لاستبيان أي المهرجانات والتسليات من شأنها أن تلائم صورة القدس كمدينة اسرائيلية عالمية، معتمدة بذلك على أحدث التكنولوجيات لبناء ثقافة مفبركة، من دون أن تلغي غيبيات تتمسك بها كعاقر برِجل وليّ صالح.

المدينة المُصادرة

يبيع بعض أصحاب محال التحف الفلسطينية المتبقية في البلدة القديمة تذكارات تحمل رموزاً إسرائيلية مثل الشمعدانات والقمصان المطبوع عليها بالعبرية، إلى جانب تلك التي تحمل كلمة فلسطين. وإن تكن المدن بطبيعتها أماكن تجمع أضداداً تتنافر وتتصالح، إلا أن ما تشهده القدس هو تخريب للمدينة كحالة وكفكرة، إذ يصادر الاستعمار المدينة من الفلسطينيين ويفقدهم مقدرتهم على صياغة جماعية لمعنى وسبل العيش فيها، وعلى حمايتهم لمورثات اجتماعية وثقافية لطالما كانت لبّ علاقتهم بمدينتهم.. تعطيهم ويعطونها. ما عادت القدس متاحة لاسترزاق أهلها، بل باتت طاردة لهم، فعلياً ومعنوياً، إذ لا يمكن فصل هدم البيوت وطرد السكان عن المشروع العام في قتل القدس كحاضرة عربية وإنتاج أخرى إسرائيلية مكانها.

أزمة القدس كانت دوماً مرتبطة برمزيتها المفرطة.. من الأطراف جميعها. بيد أن هناك في المدينة حياة تصوغها معرفة استعمارية تحتاج إلى معرفة مضادة، تُفكك الرمزيات وتُحضر الإنسان إلى واجهة مدينته المحتلة. معرفة ترمم المدينة كلما حفروا في السور أو تحت الأرض أو في تاريخ يستحيل برغم كل شيء أن يصادره أحد.

حنين نعامنة

محامية وكاتبة من فلسطين

لاريسا صنصور ـ فلسطين (Nation Estate)

انتخابات المغرب: الأرقام تتكلّم في السياسة

في اللحظات الأخيرة من التصويت في الانتخابات البلدية مساء الرابع من أيلول/سبتمبر الجاري، قال زعيم حزب الاتحاد الاشتراكي إن «أعطاباً كثيرة تشوب عملية التصويت، وحكمنا سيصدر مع إغلاق المكاتب». ومن جهته حمّل زعيم حزب الاستقلال الحكومة تبعات «الانفلاتات الخطيرة» في الانتخابات، ومنها عدم حياد السلطة والتشكيك في إرادة التغيير في المغرب والتشكيك في نضج المواطن والتشكيك في آفاق الديموقراطية بسبب كثرة الخروقات. شاعت كلمة «الخروقات» بشكل خارق. وبعد العزف الفردي تم الانتقال للعزف الجماعي. اجتمعت أحزاب المعارضة وقالت: «قادة المعارضة يتهمون الحكومة بإفشال الانتخابات».

تعوّد الخاسرون مهاجمة وزير الداخلية، لكنهم هذه المرة يهاجمون الحكومة، وخاصة رئيسها الإسلامي عبد الإله بنكيران. وللإشارة فزعيما حزب الاستقلال والاتحاد الاشتراكي وصلا للقيادة بعد الربيع العربي /الأمازيغي. وقد بُرِّر تصعيدهما للقيادة بسلاطة لسانهما وتمكنهما من الخطاب الشعبوي الذي يُتوقع منه مجاراة نهج بنكيران.

كانت التصريحات قوية، وسبّبت ضباباً حجب الرؤية. ومع تقدّم الزمن، قال المعلقون إنها من أثر الصدمة وعلامة على «سكرات الموت الموجعة». ذلك أن الأفواه الكبيرة خسرت الانتخابات فبدأت في التباكي على الديموقراطية التي وافقت على منطلقاتها وأنكرت نتائجها. وقد شاعت «الخروقات» وجعلت خطاب الخاسرين يطفو قبل أن تظهر الأرقام لتوضيح الخريطة السياسية المغربية الجديدة.

بدأت النتائج تظهر بالتقسيط: حزب العدالة والتنمية الاسلامي يحصل على الأغلبية في مدن آغادير والدار البيضاء وفاس ومراكش وطنجة. ومع توالي النتائج يتضح أن سكرات الموت الانتخابي أشد من الموت البيولوجي. وقد حظيت حالتان بالمتابعة: آغادير وفاس.

آغادير لأنها مدينة سياحية فيها كباريهات وحانات وتنانير قصيرة وسيسيّرها الإسلاميون. وفاس، لأن هزيمة زعيم حزب الاستقلال بفارق سبعين ألف صوت أمام حزب العدالة والتنمية، هي الأكثر قسوة وإثارة للشماتة. فالرجل فم كبير لم يترك اتهاماً إلا ووجهه لحزب العدالة والتنمية.. اتهامات لا يستطيع حتى اليساريون تصديقها، فكيف تصدقها قاعدة حزب الاستقلال، وهي محافظة اجتماعياً وأيديولوجياً؟ وهو غادر الائتلاف الحكومي في صيف 2013 على أمل أن تسقط الحكومة التي يقودها الإسلاميون، وكان ذلك قراراً كارثياً على حزبه.

كانت أرقام المدن صادمة. سقط وزراء سابقون وحاليون وأمناء عامون.. مثلًا في الدار البيضاء عرف المتتبعون مبكراً أن حزب العدالة والتنمية حصل على 74 مقعداً من أصل 147، وهي أغلبية تمكّنه من إدارة العاصمة الاقتصادية بشكل منفرد، وهذا غير مسبوق. وفي هذا التصويت عقاب لزعيم حزب الاتحاد الدستوري الذي سيّر المدينة اثنتي عشرة سنة، فصارت طرقاتها حفراً ودروبها مزابل وانقرض المُلْك العمومي فيها وصارت صلعاء بلا حدائق. والدار البيضاء هي معيار ومقياس نتائج المغرب. أعلن بنكيران: «الشعب ردّ لنا التحية بأحسن منها». وشبّه حزبه بالنملة وأحزاب المعارضة بالصرصار. النملة تعمل والصرصار يغني وقد جاءت الانتخابات لتفضح جوعه.

هنا صار تعبير «الإسلاميون يكتسحون» على كل لسان. لكن سرعان ما دخلت أرقام وزارة الداخلية على الخط: «حزب الأصالة والمعاصرة» تصدَّر نتائج الانتخابات الجماعية وحصل على 6655 مقعداً، يليه حزب الاستقلال وله 5106 مقاعد، وحزب العدالة والتنمية وله 5021 مقعداً، وبلغت نسبة المشاركة 53.67 بالمئة.

الأرقام تقدم نهاية منطقية لعقدة في سيناريو حدث في انتخابات 2011 حين فاز الإسلاميون بالانتخابات التشريعية ووصلوا للسلطة. حصلت مقدّمة هذا السيناريو في 2009، حينها اكتسح حزب الأصالة والمعاصرة الانتخابات البلدية في صيف 2009 ــ وكان يُعرّف بـ «حزب صديق الملك» – وحصل على 6015 مقعداً ومليون و155 ألف صوت، بينما حصل حزب العدالة والتنمية على 1513 مقعداً بفضل 460 ألف صوت. خاتمة السيناريو حصلت هذا الشهر. لم يفز الإسلاميون بالمرتبة الأولى، وهذا مهم.. ولكن لماذا هم إذاً مبتهجون؟ لأنهم ببساطة حصلوا على ثلاثة أضعاف الأصوات مقارنة بالسابق. خسروا مقاعد نعم، بسبب التقسيم المعتمَد للدوائر والمفصَّل حتى يخسروها، ولكن زادت أعداد المصوّتين لهم. هذه هي العقدة الخفية في السيناريو الجاري والممتد على أطوار ثلاثة طيلة ثماني سنوات، بين 2009 و2015. كان عنوان الفيلم هو منع الإسلاميين من تصدّر المشهد السياسي. لذلك تمّ تأجيل الخاتمة. لقد كان مفترضاً أن تجري هذه الانتخابات في 2012، وأجلت بافتعال خلافات على القانون الانتخابي الجديد وحجم الدوائر الانتخابية على أمل أن تتراجع شعبية حزب العدالة والتنمية. ولكن التأجيل لم يحلّ المشكلة، على الأقل ليس تماماً.

.. اتضح إذاً أن الترتيب المعلَن خادع. وهنا سيُصدَم الاستئصاليون، ولهذا فإن الحزب الذي حصل على المرتبة الأولى ليس سعيداً. فقد حصل حزب العدالة والتنمية على مليون وخمسمئة ألف صوت، وحصل حزب الأصالة والمعاصرة على مليون وثلاثمئة ألف صوت. وعلى هذا فالثاني يفوق الأول بألف مقعد. وهذا هو الجانب الأول المتعلق بالأرقام. الجانب الثاني هو أن حزب الأصالة والمعاصرة فاز بالمرتبة الأولى في البوادي بينما فاز الإسلاميون في المدن الكبرى التي خصها التقطيع بمقاعد أقل. مثلًا: إقليم تارودانت فيه 400 ألف ناخب أفرز لها 1500 مقعد، والدار البيضاء التي يقطنها خمسة ملايين إنسان أفرز لها أقل من خمسمئة مقعد. في تارودانت 89 جماعة وفي الدار البيضاء سبع مقاطعات. النتيجة أن عدد ممثلي البوادي أكبر، حتى لو كان سكان المدن أكثر. فكيف يعقل أن يزيد عدد ممثلي إقليم قروي عن ممثلي مدينة فيها خُمْس سكان المغرب وجلّ اقتصاده؟

الجواب: هذا مقلب تشريعي بنيوي يضمن ترييف المشهد السياسي، وتبديد الطاقة المطلبية لسكان المدن لصالح الريف الظريف.

عملياً، ضاعف حزب العدالة والتنمية عدد الأصوات التي حصل عليها ثلاث مرات بين 2009 و2015. هذه الأرقام تكشف الحقيقة وتكبح الفرح بفوز حزب الأصالة والمعاصرة الذي يستفيد من تراجع الخطاب المعادي له. ومبرر التراجع أنه الحزب الوحيد القادر على وقف تمدد الإسلاميين. يمثل الحزب حلًا مغربياً للخوف من الإسلاميين. حتى الذين يقاطعون الانتخابات في الأحياء الراقية واثقون أن الحزب سيقوم بمهمة الصدّ نيابة عنهم. هذا هو الخطاب الضمني الساري والذي يخجل الكثيرون من إعلانه.

كيف وصلنا إلى هنا؟ لقد استهانت الأحزاب التقليدية بالناس زمناً طويلًا. قدّم قيادي اتحادي حساباً بعد صدمة النتائج، قال: «على القيادة الحالية للاتحاد الاشتراكي أن تقدّم استقالتها وتعلن عن موعد مؤتمر استثنائي قبل الانتخابات المقبلة. غير ذلك سيكون هروباً إلى الأمام سيُنهي ما تبقى منا».

سألت رفيقاً أين نحن الآن؟ فأجاب بهلع «نحن في يد طالبان»، وتخيل نفسه يكتب رسالة شكر حارة لصديق الملك لبعد نظره حين أسس «حزب الأصالة والمعاصرة» والذي صدّ الإسلاميين ومنعهم من الفوز بكل المقاعد. سألت سلفياً مبتهجاً بفوز «العدالة والتنمية». قال بفخر إنه صوّت لهم، حين سألته عن السبب (والسلفيون يكرهون إسلاميو العدالة والتنمية) ذكّر بالقاعدة الفقهية التي تقول أنه حين تكثر المفاسد يؤخذ بأقل المفاسد. وقال مثقف قلق من مدينة آغادير: لا أعرف أين نحن.

وعلى الرغم من السياق المغاير، فثمة أوجه اختلاف واتفاق بين اكتساح «جبهة الإنقاذ» الجزائرية الانتخابات في 1991 واكتساح «العدالة والتنمية» (بحساب المصوِّتين لهم لا المقاعد المحصّلة) الآن..

محمد بنعزيز

كاتب وسينمائي من المغرب

Exodus

كعناوين الأفلام الكبرى التاريخية، أو تلك الأخرى المستقبلية المنسوجة من الخيال العلمي. للكلمة الأجنبية إيقاع أعلى من الرحيل والنزوح والالتجاء. هي كلها معاً، وأشد. تميد الجغرافيا تحت الأقدام، فلا البحار ولا الصحاري والبراري تقوم بدورها الحاجز. وتعجز السياسة، فلا الأسلاك الشائكة ولا عصي الشرطة أو ذل معسكرات التجميع تتمكن من ردع هذا التدفق. تحضر صور تهجير الفلسطينيين في 1948، وحقول الخيام اللامتناهية وقصص التخفف من طفل مات في الطريق.. سُلبوا أرضهم وطُردوا عنوة وبالتخويف، لكن المحيط كان، رغم كل شيء، على قدر من التماسك وربما العافية، فتمكن من استقبالهم. خضعت حيواتهم إلى شروط من القهر ولا زالت، إلا أنهم كانوا ضحايا لعدو خارجي غاشم ومؤامرة دولية محكمة. وحين رحل العراقيون تباعاً (ما مجموعه 4.2 ملايين من أصل 33.4 مليونا) هرباً من ديكتاتورية مجنونة وحروب طاحنة متوالية، حطوا أيضا في المحيط، ولو أن بعضهم وصل إلى أصقاع قصية.. هم الراسخون في الأرض الذين لم يعرفوا الهجرة طوال تاريخ يمتد لأكثر من خمسة آلاف سنة، كان جلهم يعرف أنه عائد، كما أصبح شعار الفلسطينيين: «عائدون».

أما ملايين السوريين من كل جنس الذين يتدفقون باتجاه أوروبا، فيغرق منهم من يغرق ويقضي من لا يسعفه حظه، ولكن المشهد لا ينقطع. هناك بالطبع آخرون، من قلب إفريقيا أو من أطرافها النازفة، ومن أفغانستان وسواها، وبالطبع من بلدان في أميركا اللاتينية، لكنها ليست شعوبا بحيلها كما هو حال السوريين، الذين تجاوز عدد من هم في exodus عدد من بقي متسمرا في مكانه، مختارا أو مجبراً لا فرق: 11.7 مليون سوري من أصل 23 مليونا هم مجمل السكان. 11.7 مليونا من أصل 52.9 مليون نازح في العالم كله عام 2015، بملياراته السبع (وهو تضاعف كبير، إذ كانوا 19.4 مليونا في 2005).

قرَّر بعض أوروبا التعامل مع الواقع بعقلانية: استقبال اللاجئين على أساس المبادئ الإنسانية الجميلة، وتناقص النمو السكاني في القارة، والحاجة ليد عاملة يسيرة. زلزال، بعد سنوات من خطاب رسّخ الرُهاب من الآخر وبالأخص المسلم، وزلزال لسبب موضوعي يتعلق بضخامة العدد الفوري. سيتم استيعابهم، ويصبحون بعد جيلين أوروبيين «من أصول سورية».

هذا الذي يجري أمامنا مشهد من التاريخ، أما السياسة فمبحث آخر.

نهلة الشهال

العربي السفير

قضية

800 ألف هو عدد اللاجئين المتوقّع وصولهم إلى ألمانيا مع بداية السنة الجديدة 2016. لكن المؤسسات الألمانية تعاني من نقص في اليد العاملة وهو ما يدفعها الى انتظارهم باهتمام أكبر. وتتوقّع مؤسسة «بروغنوس» نقصاً في اليد العاملة في ألمانيا بجميع القطاعات يُقدّر بـ1.8 مليون شخص في العام 2020 و3.9 ملايين على مشارف 2040.

عن الناس والعمل والعمران

حملت رحلتي اليومية الى الجامعة من منزلنا في المقطم، وهي تبّة (أي مكان مرتفع) تقع في الشمال الشرقي من القاهرة، تساؤلات عدة عن سور «مجرى العيون» وعن الهياكل الخشبية التي تظهر وتختفي ما بين فتحات هذا السور الأثري العظيم.. أولى ذكرياتي كانت في منطقة عين الصيرة حيث عدد من المجمعات السكنية التي أسس في إحداها أحمد عبد الله رزة «مركز الجيل». كانت تقوم هناك أبحاث ونشاطات أحدها نشاط ثقافي وفني وترفيهي للأطفال العاملين/ات في المنطقة في أيام الجمعة. تكثر عمالة الأطفال في المنطقة التي تحوي عدداً من الحرف والصناعات الهامة منها دباغة الجلود وورش السيارات والمخابز. في إحدى تلك الجمع، وأنا في العاشرة من عمري، أصطحبني أهلي للمركز حيث ظللت ألهو وألعب مع الأطفال الآخرين، وعندما سألت أحدهم عن صفه الدراسي كان رده: «أنا مبروحش المدرسة، أنا باشتغل».. ظللت لأيام مشغولة بالفكرة وناقشت أمي فيها.

العمران

كنت شغوفة بنهج تطوير المجتمعات والعمل الميداني في سنوات دراستي حتى وصولي لمرحلة التخرج في قسم الهندسة المعمارية، فاخترتُ أن يكون مشروع تخرجي هو تطوير منطقة المدابغ التي تقع في منطقة الفسطاط بحي مصر القديمة، وتحديداً خلف سور مجرى العيون الأثري (بُني عام 1169م)، والهدف الرئيسي من بنائه هو نقل مياه نهر النيل إلى الجزء الشمالي الشرقي حيث تقع تبّة المقطم وقلعة صلاح الدين الأيوبي، مقر الحكم حينذاك ومكان سكن الجنود لحماية حدود القاهرة. وفي فترة حكم الفاطميين، تمّ بناء مدبغة خلف السور لأن حرفة الدباغة تتطلب الكثير من المياه لتنظيف الجلود. وعليه استمر وجود المدابغ هناك التي بدأت في أطراف المدينة وتحولت بعد ذلك لتصبح في وسطها تقريبا بسبب التوسع العمراني للقاهرة جنوباً وشمالاً. في منتصف الخمسينيات قررت الحكومة المصرية افتتاح مدرسة في المنطقة لتعليم فنون الدباغة وتصميم الجلود. وأصبحت مصر لسنوات حاضرة في السوق العالمية لهذا القطاع. أغلقت تلك المدرسة في التسعينيات وترك مبناها مهجوراً حتى الآن. وفي عام 2005، قررت الحكومة المصرية، بسبب بناء مستشفى سرطان الأطفال نقل مكان المذبح تمهيداً لنقل المدابغ نفسها إلى منطقة الروبيكي التي تقع في الكيلو 46 لطريق مصر الإسماعيلية الصحراوي. وفي زيارتي لمنطقة المدابغ أول مرة، غضب مني أحد العاملين لأنني أحمل كاميرا تصوير فوتوغرافي ظناً منه أني صحافية وأؤيد نقلهم من المنطقة. وتطلب كسب ثقة البعض وقتاً وتدرجاً وتوضيحاً لمواقفي. قال أحدهم: «عايزين يودونا الروبيكي وأنا ساكن هنا في عين الصيرة جنب الشغل. وآه المدابغ بتجيب فلوس كتير للبلد ولأصحابها.. بس أنا عامل مش صاحب مدبغة وباشتغل باليومية، يعني باخد 60 جنيهاً في اليوم. لمّا أروح الروبيكي هادفع 15 جنيهاً في المواصلات يعني 30 جنيهاً في اليوم. طب أعيش ازاي؟ وإحنا هنا كلنا عمال باليومية، يعني ممكن أُطرد أي وقت وممكن تحصلّي أي إصابة ومعرفش اشتغل تاني». أقنعني موقفه فاستوعبت أن علاقة الناس بالفراغ وتقنينهم لوضعهم فيه وعلاقتهم اليومية به مرتبطة بشدة بقيمة العمل والنشاطات التي تربط الناس بالمكان وبعمران المدينة.

قيمة العمل تُرسّخ الكثير من المبادئ في فهم حياة البشر، وكيف أن ما يستطيعون فعله وقدرتهم وتمكينهم من حرفة وعمل يعطيهم قيمة للوجود وللاشتراك في المجتمع ومعه وفيه. قررت خوض المعركة مع أساتذتي في الجامعة حول سؤال «لماذا أدافع عن عدم نقل المدابغ، وما الذي أملكه من حلول؟»، علما أن بعض هؤلاء الأساتذة هم من يدرِّسوننا علم التخطيط العمراني وبعضهم يدعو «لنقل جميع الحرف والصناعات الى خارج المدينة»، وقد يكون مشتركاً بالفعل في الخطة الحكومية لنقل المدابغ.

زينة عاصي – لبنان

أبراج بدل المصانع

في أواخر التسعينيات، ومن الأمثلة الحية التي أثرت على حياة مجموعة من البشر، ما خص هدم عدد من المصانع والورش بمنطقة رملة بولاق لبناء أبراج «نايل سيتي» في المكان ذاته.. فتشرَّد مئات العاملين والعاملات من تلك المنطقة. وبموازة بناء الأبراج، نجد العديد من القصص التي تتعلق بحياة السكان: أم كيمو سيدة في أواخر الستينيات من عمرها، تقطن في منطقة عشش الكفراوي في رملة بولاق وتبيع يوميا مكرونة بالصلصة. في شبابها كان زوجها هو صاحب هذه المهنة وكانوا يبيعون سوياً في الحديقة التي تقع بين عشش الكفراوي ونهر النيل، بجوار الورش والمصانع (صورة 3). وهي المنطقة نفسها التي كان يستخدمها السكان ليلًا للترفيه عن أنفسهم. تحكي أم كيمو كيف أن العمال والعاملات كانوا يأكلون نهاراً من عربتهم فيما يكون الزبائن ليلًا من الشباب والعائلات الذين يرتادون الحديقة. مع بداية بناء الأبراج طردوا من الساحة من قبل الشرطة واضطروا للدخول إلى العشش التي بني سور بينها وبين الحديقة، التي استولت عليها محافظة القاهرة ولم تصبح عامة بعد.

مات زوج أم كيمو لاحقا وتزوج جميع أبنائها وبناتها وأصبحت تعيش وحيدة. تعمل نهارا من العاشرة صباحاً حتى الواحدة ظهراً أو حتى تنفذ أطباقها. تعمل الآن من داخل مطبخها المنزلي وباب بيتها في الدور الأرضي مفتوح دائما يطل على ساحة صغيرة يتفرع منها عدد من الحارات. يدخل العشرات وقد يصلوا لمئة طفل وطفلة وشاب وشابة يوميا من بابها، يعبرون صالتها الى مطبخها ليجدوها أمام موقدها وأمامها عدد من الأواني الكبيرة (صورة 4) ويبدأون في طلب ما يشتهون من صلصلة حارة أو أخرى ببصل أو أرز بالمكرونة ليتحول الطبق الى «الكشري» المصري المعروف. هناك حوار يومي بين أم كيمو وكل زبائنها عن أحوالهم، عن آبائهم وأمهاتهم، لا تخلو الحوارات من شتائم أم كيمو تأنيباً لهم عما فعلوه أو عما حكوه. وأحيانا تتضمن الحوارات رسائل من أم كيمو الي ذويهم تحتوي على لوم أو عتاب على تصرف أو تهنئة على آخر. تأتي إحدى البنات التي تبدو صغيرة في السن وتفاجأ أم كيمو بها وتقول لها: «بتعملي ايه هنا؟ جايه تزوري أمك ولا في ايه؟»، ويتضح من صمت الفتاة أنها على خلاف مع زوجها وأنها تركت بيتها وتقطن مع أمها مؤقتا، وتسترسل أم كيمو في نصائحها وتقول لها: «ماهر مش هيعملك كل حاجة، لازم تشتغلي وتعتمدي على نفسك وتتعلمي حاجة تنفعك عشان لو حصل أي حاجة متدوريش على اللي يصرف عليكِ وتنفعي نفسك».

خلال حكايتها لي عن الظلم الذي لحق بهم جراء نقلهم من الساحة الأمامية وحتى وصولها لأن تبيع من داخل منزلها، لم تكف عن التحدث عن علاقتها برملة بولاق وبالمنطقة وسكانها. عرض عليها جميع أبنائها أن تكف عن العمل، خصوصا مع كبر سنها، وأن تعيش مع أحدهم، ولكنها رفضت بشدة: «إزاي أسيب منطقتي وبيتي. الشغل نعمة. بأصحى من الفجر وأبيع لحد الظهر. وبعدها بأريح شوية وأقوم أقعد قدام البيت مع جاراتي ونتكلم سوا. وقبل ما أنام بأجهز لشغل اليوم اللي بعده، والحمد لله يوم الجمعة ولادي وأحفادي بيجوا يزوروني وبنقضي اليوم سوا».

فهم طبيعة التكوين المجتمعي وتاريخيته في المناطق، وخاصة تلك التي تحتوي مناطق يطلق عليها «عشوائيات» بينما هي «بُنى أهالي» ، تسكنها فئات وطبقات مهمشة، وعلاقته بعمران المناطق ينبغي أن يدرك النشاطات اليومية ليمكن فهم علاقة الناس بالعمران. المثالان المستخدمان هنا من منطقتين (مصر القديمة وبولاق) يختلف تكوينهما العمراني والفراغي والمجتمعي الواحدة عن الأخرى، ولكن جوهر علاقة السكان بالعمران، الذي يترسخ من خلال منظومة النشاطات اليومية والعمل هو ما يشكل طبيعة التحركات اليومية، وهو ما يشكل أيضا قيمة المكان في نظر ساكنيه ويربطهم به.

أمنية خليل

باحثة أنثروبولوجية في شؤون العمران من مصر

البيروقراطية المصرية تنزل إلى الشارع!

متحدّين الحر الشديد والتهديدات الأمنية، تظاهر في وسط القاهرة الآلاف من موظفي الحكومة ضد قانون «الخدمة المدنية» الذي صدر في آذار/ مارس الماضي وجرى تفعيله في شهر تموز/ يوليو، من دون مناقشته مع ممثلين للعاملين أو طرحه للحوار المجتمعي. لم تعرف القاهرة تظاهرة حاشدة بهذا القدر منذ تولي السيسي رئاسة الجمهورية قبل عام. والأمر مفاجئ للمتابعين فعمَّ الارتباك. حتى قوات الأمن تجنبت الاحتكاك بالتظاهرة، برغم عادة تفريق أي تجمعَ اعتراضي على السياسات المتبعة، وذلك منذ إقرار «قانون تنظيم التظاهر» عام 2013 الذي أدى إلى اعتقال الآلاف بتهمة خرق القانون.

الاعتراضات التي واجهت قانون «الخدمة المدنية» الجديد تعبِّر عن حالة النفور المتبادل القائمة بين الحكم الحالي وشريحة البيروقراطية المصرية التي تتمثل في ستة ملايين موظف يعملون في الجهاز الإداري للدولة بمختلف فروعه.. رفض كثير من الموظفين القانون لأنه ألغى الزيادة السنوية في رواتبهم، وخفّض أجورهم بشكل كبير، ولأنه يمنح الرؤساء المباشرين سلطات واسعة غير مألوفة في القطاع العام في مصر، من بينها خصم أجزاء كبيرة من الراتب أو وقف الترقية في حالة ارتكاب الموظف مخالفات بسيطة.

وقد بدأ الصدام بالظهور بطريقة ليست هادئة برغم أن عناصره موظفون، تربوا على تنفيذ الأوامر والطاعة للسلطة السياسية متمثلة في الحكومة.

الأصل والشكل

بدأت عجلة الخصخصة في الدوران من دون توقُّف، منذ تولي عاطف عبيد رئاسة الوزراء في عهد الرئيس المخلوع مبارك.. منذ ذلك الحين، تم بيع العديد من الشركات والمصانع والمؤسسات المملوكة للقطاع العام، بمختلف هيئاته، لتتحول لشركات خاصة مملوكة لمستثمرين ورجال أعمال. وبالتبعية، تقلص عدد العاملين في تلك المؤسسات، وتشرد الآلاف من العمال والموظفين، الذين طالبوا بحقوقهم من خلال القضاء المصري، ولم يحوزوا سوى على بعض التعويضات المادية.. في أفضل الأحوال. اتساع وتوالي حركة الخصخصة أحد أهم محركات الغضب ضد نظام مبارك، مما استتبع سقوطه في كانون الثاني/ يناير 2011.. شعر الجميع حينها أن النظام ينوي بيع البلد بكامله، من دون نظر أو حساب للآلاف من العاملين الذين يتضررون بسبب إجراءات البيع تلك، خاصة بعد أن انكشف للعيان حجم الفساد الضخم الذي شاب معظم عمليات البيع تلك. وبالرغم من كل هذا، حرص مبارك على عدم المساس بالقوام الرئيسي للعاملين بجهاز الدولة الإداري، مثل حرصه أيضاً على عدم المساس بدعم الخبز والمنتجات البترولية.. رأى مبارك أن تلك خطوط حمراء، المساس بها يعني أن يعمّ الغليان في الشارع ضده، وتجنب أيضاً ذلك لكي تبقى الشريحة البيروقراطية المصرية الواسعة في صفه، فإن لم تؤيده بشكل علني وواضح، فلا تعارضه على الأقل.. بينما الآن، يخالف السيسي ما سار عليه سلفه.

رداً على تظاهرات الموظفين، خرج السيسي في خطاب تلفزيوني يقول: «هل حجم البيروقراطية اليوم طبيعي ومناسب لدولة مثل مصر؟»، وطالب المتظاهرين بتقبل القانون وأن يضحوا من أجل بلادهم، وأشار إلى بعض البيانات الاقتصادية بجوار ذلك، مما يدل على أنه مستمر في طريق تقليل حجم العمالة في جهاز الدولة الإداري، الذي تستهلك أجوره حوالي ربع إنفاق الدولة خلال كل عام مالي جديد. وهو يعلن أن تقليل عدد العاملين في الدولة خطوة لا بد منها لإحداث النهضة المرجوة.

أبي يعارض الحكم

قضى أبي أكثر من ثلاثين عاماً كموظف في جهاز الدولة، في إحدى شركات التأمين الكبرى التابعة للحكومة، كان خلالها مثالًا للموظف الملتزم، الحريص على تأدية واجبه كما تريد الحكومة بالضبط. لم يخرج عن النص ولو لمرة واحدة، ولذلك أنهى خدمته في منصب ممتاز يحلم به الكثيرون.. ومثله مثل الكثيرين، كان أبي مؤيداً بشدة لعبد الفتاح السيسي عند ترشحه لمنصب الرئاسة، حتى أن المرة الوحيدة التي دخل خلالها أبي للجنة انتخابية، في حياته الممتدة، كانت هي المرة التي ذهب فيها لانتخاب السيسي رئيساً للجمهورية.. رأى فيه الزعيم القادر على إنقاذ مصر من الفوضى التي سيطرت على الجميع منذ اندلاع شرارة الحراك الثوري في كانون الثاني/ يناير 2011، وربما رأى فيه جمال عبد الناصر جديد، قادر على ضبط الأوضاع، بالقوة لو لزم الأمر، «ما يستتبع انتعاشة اقتصادية تعود علينا جميعاً بالخير»، وربما تعود للدولة قدرتها على توظيف أبنائها، كما جرى في ستينيات القرن الماضي.. تمنّى أبي أن أتخرج من الجامعة لأجد وظيفة «القوى العاملة» في انتظاري. هذا الحلم بعيد المنال، أصبح سراباً تدحضه حقيقة وجود ملايين من الشباب، من متخرجي الجامعات في مصر، عاطلين عن العمل.

تحطمت أحلام أبي على صخرة الواقع، ليصبح من أشد كارهي حكم السيسي.. لم يكن القمع الوحشي أو التعذيب في السجون أو الإجراءات المقيِّدة للحقوق والحريات هو ما دفع أبي للنفور، بل متابعته للنهج الاقتصادي لحكم السيسي، والذي أعطى ظهره لبيروقراطية الدولة وأحلامها، وفتح ذراعيه مرحِّباً بالاستثمار الخاص والشركات متعددة الجنسيات.

«الكاتب الفرعوني الجالس القرفصاء»

«الكاتب الجالس القرفصاء»

تمثال «الكاتب المصري الفرعوني الجالس القرفصاء» هو رمز الموظف المصري العتيد الذي تمتد جذوره على امتداد التاريخ المصري الطويل. فمصر عرفت الدولة منذ عهد الفراعنة، وظلَّ هيكلها الإداري (الذي وضع «محمد علي» حجر أساسه بشكله الحالي، مع تأسيسه الدولة المصرية الحديثة)، هو نقطة التوازن التي تحافظ على وجود الدولة المصرية في أكثر لحظات الغليان التي أوحت بأنها قد تعصف بكل شيء.

يوم جمعة الغضب، في 28 كانون الثاني/ يناير 2011، انهار قطاع الشرطة، وفُتحت السجون. لكن جهاز الدولة البيروقراطي ظل قادراً على العمل حتى في أكثر لحظات شيوع الفوضى في البلاد.. في إطار حديثه عن قوة الجهاز البيروقراطي للدولة المصرية ورسوخه وأهميته، طرح المؤرخ خالد فهمي أكثر من مرة فكرة أنه لولا وجود هذا الجهاز المتماسك، لما استطاع المواطنون المصريون أن يجدوا رغيف الخبز، صبيحة جمعة الغضب، بينما أجهزة الدولة الأمنية تنهار وتتفكك في مشهد شديد البؤس.

لا يثير الدهشة أن تجد الكثيرين ممن شاركوا في تظاهرة الموظفين، كانوا ممن نزلوا للمشاركة في احتفالات تنصيب السيسي رئيساً، خلال العام الماضي.. كانت كتلة البيروقراطية المصرية إحدى أهم دعائم تنصيب السيسي، وهي التي رسمت حوله هالة المنقذ المخلص والزعيم المنتظر، مما ساعده على إطاحة كل خصومه. يفقد السيسي الآن دعم قطاع كبير من تلك الكتلة الخطيرة، كتلة موظفي الدولة، ويغامر بنصيب كبير من شعبيته في سبيل تحقيق تنمية اقتصادية مأمولة. يشعر الموظف المصري الذي يحيا على أمل انتظار «العلاوة السنوية» والزيادة المرتقبة في المرتب، والذي يتمنى أن يشتغل ابنه بإحدى الوظائف الحكومية مثله كي يأمن غدر وظائف القطاع الخاص.. أن الحكومة تتخلى عنه، وأن تلك القبضة القوية التي كان يمسك بها سعياً للأمان، حتى لو كانت باطشة في بعض الأحيان، يجدها الآن تخبره أن عليه أن يتولى أموره بنفسه.. هكذا ببساطة.

في آذار/مارس الماضي، وعقب تسعة أشهر فقط من تطبيقها، ألغى المسؤولون ضريبة بقيمة 5 في المئة على المصريين الأعلى دخلًا. انتقد صندوق النقد الدولي قرار تأجيل ضريبة رأس المال على الأسهم بالبورصة، وقال إن ذلك قد يوقع على الفقراء العبء الأكبر من تقليل الحكومة للنفقات.. وفي ظل تضاعف أجور المنتسبين لقطاعي الشرطة والقوات المسلحة، منذ حَكَم السيسي، يشعر الموظف المصري أنه قد أصبح الطرف الأضعف في المعادلة، وعليه أن يسدد فاتورة غيره من قوت يومه.

بيسان كساب

كاتبة صحافية من مصر، متخصصة بالاقتصاد

العربي السفير

قضية

145 مليار ريال (386 مليون دولار) هي قيمة العجز في الموازنة السعودية للعام 2015، ويُتوقّع أن تبلغ النفقات العامة 860 مليار ريال (أي مليارين و292 مليون دولار) والإيرادات 715 مليار ريال (أي مليار و906 ملايين دولار) . وكانت الحكومة السعودية قد أقرت موازنة توسّعية لهذا العام ورفعت الإنفاق إلى مستوى قياسي.

الاحتجاج و«الإصلاح» في العراق

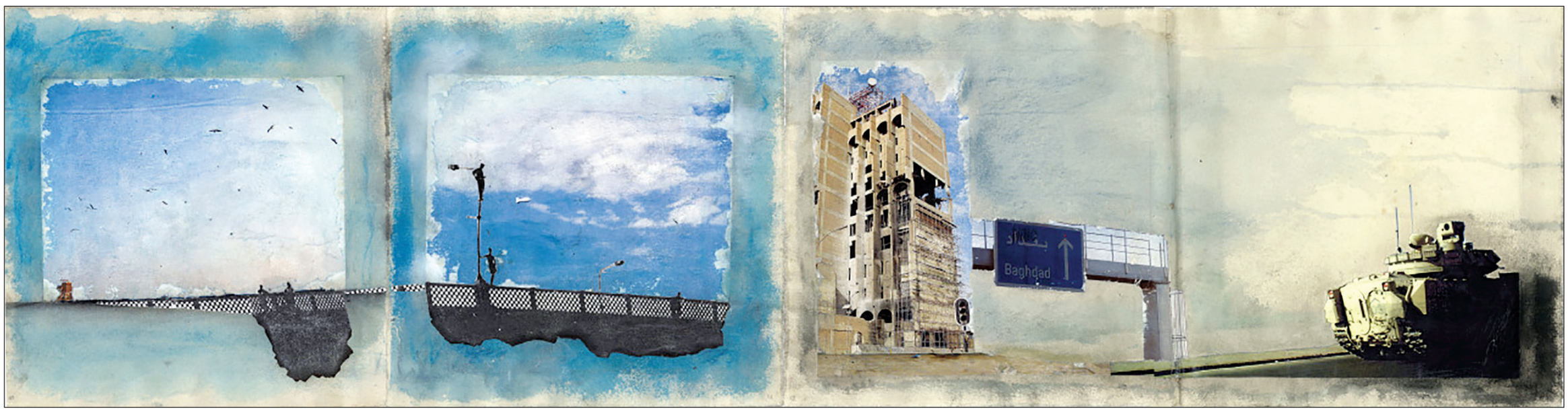

سندس عبد الهادي – العراق

مرّ نحو شهرين والاحتجاجات في العراق ضدّ فساد الأحزاب السياسيّة الحاكمة لا يخبو فتيلها. ومر نحو شهر على إعلان حزمة الإصلاحات التي أعدّها رئيس مجلس الوزراء ووافق عليها البرلمان. بيد أن الوضع ما يزال على حاله، ورطانة التصريحات السياسية تجتر ثنائية الفساد والإصلاح، فيما يزداد الشارع غضباً وتحدّياً. أما الأحزاب السياسية فتبحث عن مخرج للأزمة التي زجّت نفسها بها، وهي لا تبدو متصالحة حتّى مع «إصلاحات» العبادي الخجولة، وأخذت تفكّر بكيفية التخلّص من.. التظاهرات.

خيمة ومَلاحدة وسكاكين

في التظاهرات التي فجرها غياب التيّار الكهربائي المتزامن مع قيظ لاهب تجاوز 50 درجة، وفقدت فيها البصرة أوّل قتيل بين صفوف المتظاهرين، تَفوّق العراقيون على أنفسهم في ابتداع الشعارات وعرضها وترديدها. لم يحدث أن كان الشارع ساخراً هكذا من قبل، وكان اليأس مطبقاً عليه، وقد تحوّل هذا اليأس اليوم إلى طاقة احتجاج وغضب كبيرين. السخرية من كلّ شيء في ساحات التظاهرات، حملتها لافتات مُبتكرة، سهلة ومفهومة وموجعة للساسة. لسَعتها فبانت في انتقاد الأحزاب جميعها لشعارات المتظاهرين التي لم توفّر أحداً من القيادات السياسية. وظهر ذلك في البيانات أو خلال اللقاءات التلفزيونية. وما زال شعار «باسم الدين باكونه (سرقونا) الحرامية» يحتلّ المركز الأول من حيث درجة إزعاج الساسة. قادة الفصائل المسلّحة لا يخفون بغضهم لهذا الشعار، ويروّجون أن «جهات خارجية» تقف وراء إطلاقه وتسانده من أجل «إسقاط العمليّة السياسية» و «عَلْمنَة» العراق، بينما ذهب رئيس المجلس الأعلى الإسلامي عمّار الحكيم إلى أبعد من ذلك حين وصف «بعض» المتظاهرين بأنهم «يسيئون» إلى المرجعية الدينية. أما زعيم ائتلاف دولة القانون، نوري المالكي، الذي صدّر حزبه أكثر الوجوه طائفيّة، فكان حانقاً على «استهداف المتظاهرين لرموز سياسية ودينية»، وهو ما جعله يُكرّر أن هناك «مؤامرة» تقف خلف كل هذا الغضب.

كانت هذه الانتقادات مقدّمات لقادم أكثر وطأة. فهي في حقيقة أمرها محض تحريض على المتظاهرين بوصفهم «مَلاحدة» و «متهتكين» بل وحتّى «بعثيين»! ولم تكن مصادفة والحال هذه أن تُمارِس ميليشيات الأحزاب السياسية الحاكمة العُنف تجاههم في ثلاث محافظات هي البصرة والنجف وبابل، بغاية الانقضاض عليهم وتفريقهم. في البصرة، أقصى جنوب العراق، مزّق مسلحون «مجهولون» خيمة الاعتصام وكسروا محتوياتها على رؤوس المعتصمين أمام مجلس المحافظة، وضربوا اثنين منهم نقلا إلى المستشفى، ورافق ذلك توزيع منشورات تهدّد المتظاهرين، واصفة إياهم بـ «الملحدين»، في خطوة لتخويفهم وإضعافهم. إلا أن التحدّي زاد، فسرعان ما أعاد المعتصمون نصب الخيمة وتجمّع عدد أكبر من الشبّان تحتها، ونشروا العلم العراقي الذي يحمل كلمات «الله أكبر» على الشارع ليقطعوا به الطريق، وبهذا زادوا التحدّي أمام «المجهولين» والحكومة المحليّة وحافظوا على مكانهم. أما في بابل، فقد اعتصم الشبّان في الشارع بلا خيمة وتحت أشعة الشمس، واستمروا أسابيع على هذه الحال، بالمقابل بقي شعار «جمعة ورا جمعة.. الفاسد نطلعه» يتردّد في تسع محافظات عراقية، في تحدٍّ لأحزاب السلطة على الاستمرار في النزول إلى الشوارع والحقّ في التظاهر.

أوليغارشية أم أوليغارشيات؟

في الواقع، لم يكن كل هذا الغضب ـ والإصرار عليه ـ نتيجة اكتشاف العراقيين وحدهم فساد الأحزاب وتحويل البلاد إلى محميّات صغيرة لعوائل تلك الأحزاب ومعارفها وتجارها. وإنما ساعدت تلك الأحزاب بنفسها على إغضاب الناس وفجرت بغض المجتمع للسلطة التي تحكمهم عبر التخندق الطائفي السياسي والتخندق المضاد، وحروب «التسقيط» التي خاضتها أحزاب السلطة بعضها ضدّ بعض. فقد نُشرت طيلة الفترة الماضية التهم والحقائق على شاشات التلفزة ومواقع التواصل الاجتماعي، حتّى فقدت جميع الأحزاب مصداقيتها لدى العراقيين، أي أنّها دفنت نفسها بأيديها، وفقدت ما تبقّى لها من رصيد لدى العراقيين الغاضبين على مصير بلدهم الغني بثرواته والذي يعيش حالة فقر تقترب من تلك التي تعيشها أفقر بلدان العالم. هكذا تَحوّل العراق من سلطة أوليغارشية «متفاهمة» تضم الأحزاب وتحكم المجتمع، إلى أوليغارشيات متصارعة في ما بينها على السلطة والحيز العام والعقود الحكومية الفاسدة.. كل هذا تكفل بإيصال العمليّة السياسية في البلاد إلى الأفق المغلق.

ينفي الكاتب نصير غدير أن يكون نظام الحكم في عراق اليوم ديموقراطياً بعدما بلغ الصراع بين الأحزاب على نهب المال والنفوذ والسلطة، مبلغ تقاسم المناطق الجغرافيّة وتأسيس الفصائل المسلّحة. يُمكن اليوم أن يحدّد العراقي مناطق نفوذ وسيطرة الأحزاب داخل المدن بسهولة كاملة، وأن يحدّد أيضاً الخلافات الرئيسية بين الأحزاب وأسبابها، ولا تبتعد بعض تلك الخلافات عن تسلّم مركز حكومي مهم يدرّ على الحزب «أرباحاً» من المال العام. وهنا يحضر السؤال حول مآل نظام الحكم في العراق بعدما أصبح حكم أقلية تحتكر المال من دون أن تقدّم أدنى الخدمات؟ ما هو شكل تحوله؟ يجيب غدير انه صار «كلبتوقراطي» Kleptocraty ـ حكم اللصوص ـ الذي يراكمَ الأموال على حساب المجتمع، وهو من أبشع الأنظمة التي يمكن أن تنتجها أي منظومة، استبدادية كانت أو ديموقراطية.

إصلاحات من دون إصلاح

ومع هذا الواقع السياسي البشع، لا تبدو «إصلاحات» رئيس الحكومة التي ينشرها على صفحته في «فيسبوك» وتتلقفها وسائل الإعلام، إلا لعبة سمجة. فالعبادي ملتزم حتّى هذه اللحظة بحزبه المتورّط بأبشع وأكبر صفقات الفساد في البلاد، وهو يغطّي الشخصيّات الكبيرة الفاسدة، ولم يُحاكَم أو يُسأل أيّ من رجال الأعمال المعتمدين لدى حزبه والذين أشاعوا خراب البنية التحتية بسبب الصفقات الفاسدة. وليس صحيحاً أيضاً أن «إصلاحات» العبادي التي أقرّها مجلس النواب بتخفيض الحمايات وفّرت على الدولة الكثير من الأموال، فالحسبة الرياضية كفيلة بمعرفة أن عناصر الحماية الذين جرّد المسؤولين منهم سيستمرون بتلقّي رواتبهم من الحكومة، ولم يقم العبادي بأكثر من مناقلتهم من مكان إلى آخر. فضلًا عن ذلك، فإن دمج الوزارات بعضها مع بعض لم يتمّ بالكامل، إذ ما يزال الكثير من الوزراء يرفض ترك وزارته بسبب «شرائه» لها من قبل الحزب الذي استوزره إياها، والأنكى من هذا وذاك، أن هذه الإصلاحات – لو تحققت – فإنها لا تعدو كونها تصليحاً بسيطاً في عطب كبير أصاب محرّك البلاد.

«إصلاحات» العبادي المعلنة آنية إذاً ولا تمس جوهر النظام السياسي، وهي قابلة للامّحاء مع انتهاء التظاهرات أو إجراء انتخابات مبكرة، أو تعرّض البلاد لأي هزّة أمنية. وبهذا الشكل، فإن المنظومة السياسية ستستعيد هيمنتها في أي لحظة شاءت، وهذا يتنافى تماماً مع حركة الاحتجاج التي مَلّت من سرقة المال العام واعتماد السلطة سياسة الإفقار المستمر للمجتمع بكلّ أطيافه.

الغضب والمطالب والنخبة

طاقة الغضب التي تحوّلت إلى محافظتين تعانيان قلقاً أمنيّاً هما ديالى وصلاح الدين، لم تتوصل حتّى اللحظة لتوحيد قائمة المطالب. ما يزال المنظمون منطوين على أنفسهم في محافظاتهم، ويتمّ التركيز حالياً في كل جمعة تظاهر على مطلب واحد حتّى يتحقّق، ليتم الانتقال بعدها إلى المطلب الآخر، وفي هذا إنهاك للمتظاهرين ومُراهنة على استطالة قدرتهم على تحمّل الحرّ والخوف المستمر على حياتهم من السكاكين التي تتسرّب إلى ساحات التظاهر. وبمقابل هذا، لم تعمل النخبة الثقافية والأكاديمية حتّى اللحظة على وضع قائمة مطالب بإمكانها أن «تُصلِح» النظام، حيث إن معظم مطالب الشارع لا تعدو أن تكون «هدنة» بين العراقيين وسلطتهم. لقد فاقمت النخبة الأزمة بين الشارع والسلطة بدلًا من أن تقوم بدورها الذي يحتم عليها تقديم المقترحات على الناشطين في تأجيج الحراك ورفعه وتثقيفه بتأصيل خطاب يمكنه مجادلة السلطة وردعها إذا سوّفت المطالب. فقد عمدت هذه النخبة أوّلًا إلى تهدئة الشارع ولجمه من التصعيد مع السلطة، معلنة الالتزام بالمطالب الخدمية، فيما سهّلت في مرحلة تالية المهمة على السلطة في محاولاتها لإضعاف الحراك وإقناعه بأن «إصلاحات» العبادي مقدمة مهمة لتغيير شكل النظام إلى الأفضل. لذلك كله يتبدد غضب التظاهرات، ولا يتحوّل إلى حالة مُنتجة، وهو لا يتعدى كونه إثباتاً للوجود والقدرة على ملء الساحات والتعبير عن الغضب.

تثقّف النخبة المتظاهرين بالابتعاد عن المطالب السياسية، بدلًا من أن تصبح تمثيلًا سياسياً للمتظاهرين الغاضبين، و «تثقيف» النخبة هذا يتنافى تماماً مع الخراب الذي وصلت إليه البلاد. ليس ما حدث من خراب إلا نتيجة انسداد الأفق السياسي. إنه فشل متراكم أدى إلى هذا الغضب العارم في الشوارع والساحات، وتنفيسه الآن وعدم تصعيده يمنح الأحزاب الحاكمة وقتاً للالتفاف على المتظاهرين وعلى المجتمع ككل.

لكن فرصة الإفلات أمام الأحزاب لا تبدو كبيرة هذه المرّة، إذ يُقبل العراق ـ إذا ما ظلّت أسعار النفط منخفضة وكلفة الحرب المفتوحة على تنظيم «داعش» على الحال التي هي عليه ـ على فوضى كبيرة لا يعرف أعتى المتبصّرين نتائجها. تتردّد شائعة في الشارع اليوم عن قطع الحكومة لرواتب الموظفين خلال الأشهر المقبلة، أو تخفيضها، بسبب خلوّ خزينة الدولة من الأموال. ومعروف ان الاستدانة من صندوق النقد الدولي مشروطة بألا تذهب إلى المرتبات بل إلى الاستثمار، والمصارف الخاصّة في البلاد هي الأخرى تستدين من خزينة الدولة.. وعلى هذا المنوال، تبدو دائرة المال وكأنها تسير في دوامة لا حدود لها، ومستقبلها أكثر مأساوية مما هي عليه اليوم. فهل سيسكت العراقيون على جوع عوائلهم، خاصّة أن حركة الإنتاج الصناعي والزراعي في العراق معطّلة تماماً، وأن البلد يستورد احتياجاته بالكامل من الخارج، ومن ضمنها المشتقات النفطية، مع أنه من أكبر منتجي النفط ومصدريه؟

عمر الجفّال

كاتب صحافي من العراق

الانتخابات البلدية السعودية: هل تستحق عناء المشاركة؟

بدأت في 22 آب/ أغسطس إجراءات إخراج قيود الناخبين في 11 منطقة سعودية، بعد أسبوع من بدئها في الأماكن المقدسة، استعداداً لانتخابات المجالس البلدية. هذه هي الدورة الانتخابية الثالثة في تاريخ السعودية، ومن المقرر إجراؤها في كانون الأول/ ديسمبر المقبل. وهي تتميز عن سابقاتها بتوسيع دائرة المشاركة الشعبية عن طريق السماح للمرأة بالترشح والانتخاب، وزيادة نسبة الأعضاء المنتخَبين في المجالس من النصف الى الثلثين (الباقي مُعيَّن)، وتخفيض سن الناخب من 24 إلى 21 سنة. وعلى هذا، هناك توسيع لصلاحيات المجالس البلدية عما كانت عليه في الدورتين السابقتين، ورفع المستوى التأهيلي والتعليمي للمرشح ليكون حاصلا على الشهادة الثانوية بدلا من الاكتفاء بالقراءة والكتابة، وزيادة عدد الأعضاء والدوائر الانتخابية.

سخرية

غطى الإعلام التقليدي السعودي، بشقيه الرسمي والخاص، انتخابات المجالس البلدية بكثافة عبر مقالات صحفية وبرامج حوارية، وكأن الحدث فعلًا تاريخي. لكن للشارع رأيا آخر. فقد تحدثت تقارير صحافية كثيرة عن إقبال ضعيف جدا على التسجيل في قيود الانتخابات. ففي مكة المكرمة وهي المدينة المزدحمة، كان عدد من استَخرج قيودا انتخابية على مدار أسبوع كامل 700 شخص فقط. وفي الرياض، كان معدل القيود الانتخابية بالنسبة لعدد المراكز أقل من واحد لكل مركز انتخابي في يوم واحد. هذا بالإضافة إلى كمية سخرية كبيرة من المجالس البلدية على موقع تويتر عبر وسم #الانتخابات_البلدية مما دفع بعض المثقفين لانتقاد السخرية المفرطة كالناقد الأدبي عبد الله الغذامي الذي كتب على حسابه «هناك حالة تنكيت على الانتخابات البلدية القادمة.. إن كنا سنستهتر بكل نصف خطوة تلوح، فإننا لن نصل إلى أي خطوة من أي نوع وأي قياس».

على هامش الانتخابات

حصول المرأة على حق الترشح والانتخاب أثار حفيظة بعض المشايخ وأصحاب الآراء المتشددة حيال مشاركة المرأة في الشأن العام عموما. تراوحت أقوال علماء الدين في شدتها، فيرى البعض عدم جواز مشاركتها بالمطلق حيث أنها يجب ان تكون تابعة للرجل كما جاء في تسجيل انتشر على تويتر في وسم #الانتخابات_البلدية للشيخ عبد المحسن العباد. ورأى آخرون أن عليهم التعامل مع ما يقره ولي الأمر، كالشيخ عبد العزيز الفوزان، الذي أوصى بأن يصوت الناخبون للرجال لقطع الطريق على النساء، وخصوصا «المنحرفات منهن خلقيا وفكريا»، على حد قوله. ويرى الفوزان أن دخولهن للمجالس البلدية قد يكون فرصة لتغريب وإفساد المجتمع. وانطلقت حملة على وسائل التواصل الاجتماعي عبر مقطع فيديو بعنوان «بادر يا غيور بتقييد اسمك ناخبا» للحث على المشاركة والتحذير من اختلاط المرأة بالرجل في المجالس البلدية.

أما الكثير من الناشطات والحقوقيات السعوديات فرأين في منحهن حق الترشح والانتخاب مكسبا وخطوة تاريخية في مسيرتهن الحقوقية. وحرصت الكثير من النساء ليكن أول من يستخرج قيوداً انتخابية في دوائرهن. إلا أن شروط إثبات مقر السكن والوثائق اللازمة لاستخراج القيود مثلت عوائق كبيرة أمام الكثيرات منهن. وانطلقت حملة «مبادرة بلدي» بتنسيق ليلى الكاظم لحث النساء على المشاركة في الانتخابات. وتمثل ردود أفعال الناشطات على منحهن حق الترشح والانتخاب في المجالس البلدية مؤشرا على أفق الكثير منهن ومدى ما يطمحن إليه في حراكهن. فبدا ابتهاجهن بالحصول على حق الترشيح، وكأن أقصى أمانيهن هي «مساواتهن بالرجل» الذي ما زال أصلًا يطالب بحقوقه السياسية والمدنية، وليس الوصول بالمرأة الى حالة تكون فيها «إنسانة كاملة». كان لبعض النساء رأي مختلف، مثل الكاتبة السعودية حليمة الشهاب، التي قللت من أهمية مشاركة المرأة في مجالس منزوعة السلطة واعتبرتها خطوة لا تمثل أي مكسب بل تطيل وضع المرأة المزري على الصعيد الإنساني والحقوقي والقانوني.

كما حضرت مشكلة الولاء القبلي وعلاقتها بالانتخابات بقوة في وسائل الإعلام. وانتشرت أنباء عن قيام القبائل في بعض المناطق بإجراء انتخابات داخل القبيلة نفسها كتصفية للمرشحين، ثم تقوم القبيلة بإلقاء ثقلها خلف من ينتخب من قبل أبنائها، على غرار ما كان يحدث في الكويت. قوبلت تلك العصبية بحملات توعية عبر وسائل الإعلام التقليدية للحث على اختيار المرشح الكفوء، إلا أن مواقع التواصل الاجتماعي بقيت فضاءً مفتوحاً لنخوة القبيلة كي تنصر أبنائها.

خطيئة المشاركة

جدير بالذكر انه في عام 1955 جرت انتخابات للمجالس البلدية في السعودية، وكان كل أعضاء المجلس البلدي آنذاك منتخبين. وتمتعت تلك المجالس البلدية في الخمسينيات بصلاحيات كبيرة مقارنة بالصلاحيات الموكلة لها الآن. فأعضاء المجلس هم من يرفعون اسم مدير البلدية للسلطات لتصدر قرار تعيينه، ويرسمون الخطط ويقرون الميزانيات البلدية، بالإضافة الى تقييد معظم قرارات البلدية بموافقة المجلس. فهل يجوز أن تقام انتخابات بعد 60 سنة تُخرج ثلثي أعضاء مجلس بلدي كل ما يملكون منه هو «إبداء الرأي» حسب لوائح وأنظمة المجالس البلدية الحالية. بل يمكن الاستغناء بالكامل عن المجالس البلدية إذا قرأنا المهام الموكلة إليها لأن الصحافة المحلية تقوم أصلا بتلك المهام.

المشكلة هنا هي لدى من يُنشد التغيير. وفي بلد كالسعودية، يعد الانتصار في انتزاع مجالس بلدية ذات صلاحيات حقيقية معركة صغيرة في حرب إصلاحية طويلة. أما تجزئة المعركة الصغيرة أصلا الى عدة معارك أصغر، مثل احتجاج النساء على شروط استخراج القيد الانتخابي، فيأخذنا بعيدا عن مسار التغيير ويطيل معركة الحصول على حق المشاركة الشعبية في صنع القرار. وهكذا تنتشر فكرة أن مقاطعة الانتخابات هي أفضل الحلول الآنية، لكي لا يكون استخراج القيد الانتخابي والوقوف في طوابير أمام صناديق اقتراع، هي «بقايا التمر» الذي نتقاتل عليه. وقد أخذ الشارع زمام المبادرة عبر إقباله الضعيف جدا على «معركة» استخراج قيود الانتخاب، كتمهيد للانتقال الى المطالبة بتغيير صلاحيات وأنظمة المجالس البلدية.

علي مطير

باحث من السعودية

الزاوية الحمراء

كتب نائل الطوخي ورسم مخلوف

تقليل عدد الضحايا

جلس الرئيس في الغرفة. دخل مساعده وأخبره أن آلاف اللاجئين غرقوا في البحر اليوم، وسأله ماذا سنفعل. فكر الرئيس قليلًا ثم قال إنه لن يمكننا تقديم شيء للاجئين الغرقى نظراً لأنهم ماتوا خلاص. بالإضافة لأنهم خونة قرروا بمحض إرادتهم مغادرة أرض بلدهم الحبيبة، وأخيراً فلو قدمنا لكل منهم جنيهاً، وأخرج الآلة الحاسبة وبدأ ينقر أرقاماً، فلن نخلص، لأنهم كثيرون جداً.

قال المساعد إنه لم يقصد هذا بالتحديد، ولكن الناس يتساءلون إن كان يمكن منع كارثة مثل هذه في المستقبل. رد عليه الرئيس بأن هذا أيضاً مستحيل، فالمستقبل أولًا في يد الله عز وجل، وثانياً فمن يقررون مغادرة أرض بلدهم الحبيبة هم خونة ويستحيل على حكومتنا التعامل مع الخونة، وثالثاً لأن من ينوون الهجرة هم أكثر بكثير ممن حاولوا الهجرة فعلًا، هم كل الشعب تقريباً، وإذا أعطينا كل واحد منهم جنيهاً ـ وأخرج الآلة الحاسبة مرة أخرى وينقر أرقاماً ـ فلن نخلص أيضاً.

ارتكن الرئيس على كرسيه وأضاف للمساعد، قلل لي عددهم قليلًا وسأعرف كيف أتصرف. هذا وعد.

صحيح أن المساعد لم يتمكن من تقليل عددهم، وأن الأيام التالية حملت آلافاً أخرى من اللاجئين الغرقى، ولكنها بجانبهم أيضاً حملت صورة طفل غرق وحيداً في البحر المتوسط. دخل المساعد على الرئيس وأخبره بأمر الطفل، فقال الرئيس برافو عليك، بالضبط هذا ما كنت أريده. طفل واحد، حادثة غرق وحيدة، بحر واحد، هكذا يمكننا التصرف. تم توزيع صورة الطفل على جميع الصحف والمجلات، كتبت فيه مرثيات كثيرة، بل وزار الرئيس عائلة أهله وعزّاهم، كما افتتح بنفسه مطعماً للسمك في قلب المدينة سماه على اسم الطفل.

ولكن على بعد أمتار من المطعم، كانت قوات الرئيس تضرب سائر المدينة بالقنابل وتطارد الناس إلى السفن التي ستنقلهم إلى البحر الذي سينقلهم بدوره إلى حتفهم، لأنهم كثيرون جداً، ولأنهم من بدأوا بالخيانة عندما رغبوا في مغادرة البلد. هكذا يقول الرئيس لمساعده وهما عائدان من افتتاح المطعم المسمى على اسم الطفل الغارق.

نص نائل الطوخي ورسم مخلوف

العربي السفير

21.5 مليار دولار هو حجم إنفاق الحكومات المتعاقبة في ليبيا على مدى السنوات الثلاث الماضية التي أعقبت ثورة 17 شباط/فبراير 2011، وفق ديوان المحاسبة الليبي وهو أعلى هيئة رقابية. ووصف الديوان الإنفاق خلال هذه السنوات بالإسراف والهدر. وقد حلّت ليبيا بين الدول العشر الأكثر فساداً في العالم، وفقاً لمؤشر الفساد التابع لمنظمة الشفافية الدولية لعام 2015.

متابعات

إشكالية الصفر

«صفر» أصبحت الكلمة الاشهر الآن، ليس على الساحة التعليمية فقط بل على مستوى المجتمع المصري بكل فئاته، من السياسيين وحتى رجل الشارع. والسبب في الشهرة ليس فقط درجة الصفر التي حصلت عليها الطالبة مريم ملاك فى امتحانات البكالوريا هذا العام وفي كل المواد الدراسية، والتى تصر وزارة التعليم على أنها صحيحة تماما ومستحقة ونتيجة لخطأ إجابات الطالبة في كل المواد الدراسية!

طلعت ريحتكم..

لم تعترف بهذا القرار الطالبة المتفوقة منذ الطفولة والتي كانت تحصل على أعلى من نسبة 95 في المئة في كل سنوات تعليمها السابقة، وكان حلمها ان تلتحق بكلية الطب لتكمل مسيرة أسرتها في هذه المهنة. ولذلك اتهمت وزارة التعليم بالتزوير وتبديل أوراق إجابتها داخل ادارة الامتحان بأسيوط في صعيد مصر. في المقابل، نفى وزير التعليم بشكل قاطع إمكانية حدوث ذلك بل واتهم ضمنيا الطالبة بالكذب. سربت الوزارة بعض أغلفة أوراق الطالبة لوسائل الإعلام على غرار موجة التسريبات الشهيرة للسياسيين، وهو سلوك نال استهجاناً عاماً بوصفه «انتقامياً» و «غير تربوي». وخرجت مطالبات بإقالة وزير التعليم، وبالفعل تم تسريب ورقة رسمية لخطاب إستقالته، وهو الخبر الذي سرعان ما نفي من جانب مجلس الوزراء.. الذي أعلن في الوقت نفسه على لسان رئيسه أنه طلب لقاء الطالبة نظراً لحالة التعاطف المجتمعي الكبير معها في مقابل عدم الاقتناع بحجج وزارة التعليم. وحصل اللقاء بالفعل مع الطالبة وأسرتها في حضور محاميها الذي صرح عقب الاجتماع «أن رئيس الوزراء أكد أنه متعاطف معها ومعجب بصلابتها وإصرارها على حقها في الاستمرار في إجراءات التقاضي للنهاية، ووعد بمساعدتها وطلب من وزير العدل سرعة حسم هذا الملف». ويبدو أن مفاجآت ستقع في الأيام القادمة، خاصة بعد الاستجابة لطلب مريم ومحاميها بإعادة عرض مسابقاتها على مصلحة التزوير والخطوط وبتشكيل لجنة محايدة جديدة بعد أن كان التقرير الحكومي الأول للجنة الخطوط جاء ضد الطالبة ولصالح وزارة التعليم، والتأكيد أنه لم يكن هناك شبهة تزوير أو اضطهاد على اعتبار الخلفية الدينية المسيحية للطالبة مريم ملاك.

حادثة الطالبة سلطت الأضواء على قضية تصحيح امتحانات الثانوية العامة هذا العام. فطبقا لما أشار إليه المشرف العام على الامتحانات بأن ما يقرب من 70 ألف طالب وطالبة، وبنسبة تقترب من 20 في المئة من عدد الناجحين بالثانوية العامة هذا العام، قد تقدموا بطلب تظلّم من التصحيح ومن الدرجات التي حصلوا عليها، وبعد دراسة الاوراق وسداد الرسوم المالية التي وصلت إلى 7 مليون جنيه مصري (أي حوالي مليون دولار) اكتشفت وزارة التعليم أحقية حوالي 10 آلاف طالب في الحصول على درجات اضافية، وهو ما تم بالفعل، مترافقا مع رفض التعليق وتفسير إرتفاع نسبة الأخطاء في التصحيح إلى هذه النسبة الكبيرة. كشف لأول مرة أن الطالبة مريم لم تكن صاحبة الصفر الوحيدة بل هناك مثلها 38 طالبا حصلوا على صفر، وهم أقل من العام الماضي حيث كان عددهم 40 طالبا، ولكن لم تقم الدنيا مثلما يحدث الآن (وذلك اتهام لوسائل الإعلام بأنها وراء اشعال الموقف وتفجيره!)، وهو ما دفع مواقع التواصل الاجتماعي لأن تطلق «ريحتكم طلعت» اقتباسا للشعار الأشهر الآن في الساحة اللبنانية.

الـ «زيرو» تطوير التعليم

ولكن الجديد ان الصفر ليس في الدرجات فقط وإنما أيضا في الاسم الذي اختارته الوزارة لأحدث برامج تطوير التعليم وأطلقت عليه اسم «صفر» أو «زيرو» كما جاء في بطاقة التعريف والدعوة.

والمقصود بالمشروع التعريف والتدريب على حزمة من أنواع الذكاءات المتعددة للطلاب، فتقول مديرته: «هو برنامج لتدريب المعلمين لاكتشاف وتنمية الخيال الابتكاري عند الطلاب وجزء منه هو الإعداد والتدريب على الاختبارات الدولية في العلوم والرياضيات واللغات، وأيضا التدريب على مهارات البحث العلمي». ويستمر برنامج «صفر» لمدة ستة أسابيع. أضافت: «أن المدربين قاموا بتطوير البرنامج الدولي بإضافة المعامل الافتراضية وهي تعني إدخال ومحاكاة للتجربة التي تتم داخل المعامل لتكون داخل الفصول الدراسية، ومن المنتظر تطبيق هذا البرنامج في بداية العام الدراسي الجديد».

ومن المعروف تربويا الآن أن هذا البرنامج هو مشروع عالمي لتطوير نظم التعليم نشأ في الولايات المتحدة الاميركية مؤخرا على يد العالم التربوي «هوارد جاردنز» والهدف منه إنشاء معايير دولية لجودة التعليم، وتطبقه الآن 54 دولة على مستوى العالم.

وسواء كان متعمدا اختيار اسم «صفر» أو «زيرو» لإطلاقه على أحدث برامج التطوير وتوقيت الإعلان عنه، أو أن المصادفة وحدها كانت وراء التزامن ذاك، فإنها من حيث لا يحتسب بالتأكيد مسؤلوو وزارة التعليم، قد أحدثت دويا كبيرا، خاصة أن صفر الطالبة مريم يقول بوضوح أن نظام الثانوية العامة بشكله الحالي، ومهما تعهد المسؤولون بضمان الحيادية والشفافية فيه، قد عفا عليه الزمن، ولاسيما أن خطة العمل الجديدة تتم بالطريقة والأسلوب نفسه، وهو ما أشار إليه بوضوح رئيس مراقبة منطقة الدلتا السابق، وقال أن هناك فسادا كبيرا خاصة لصالح «أولاد الأكابر» في التصحيح.

ما حدث هذا العام فتح الباب على مصراعيه للحديث عن ضرورة إعادة النظر بشكل كامل فى نظام البكالوريا المصرية، وهو ما سارعت وزارة التعليم على لسان وزيرها بتأكيده، وأنها تدرس مقترحا لاعتبار شهادة البكالوريا شهادة منتهية، أي نهاية مرحلة تؤهل لسوق العمل، أسوة بشهادة الدبلوم الفني، وذلك مع قصر الامتحان العام الموحد للطلاب على المواد الرئيسية في اللغة العربية والدين والتربية الوطنية واللغات الاجنبية، وأن تترك للجامعات عقد إختبارات للقبول، يحدد بناء عليها مستوى ودرجات الطالب، يتم بعدها قبول أو رفض الطالب، الذي سيتم من خلال مكتب التنسيق. ولكن تصريحات الوزير قوبلت بتحفظات كثيرة من أساتذة الجامعات على وجه الخصوص، لأنها كما وصفوها لن تحل أزمة شهادة البكالوريا بل ستفتح الباب للاستنساب، وسيتضرر منها أبناء الفقراء، وأن المطلوب هو عقد مؤتمر وطني عام لمناقشة البكالوريا ونظام القبول بالجامعات الحكومية القادر على تحقيق العدالة ووقف قطار الصفر التعليمي.

ايمان رسلان

صحافية من مصر مختصة بالتعليم

حلـــــم..

محمود فهمي عبود/العراق

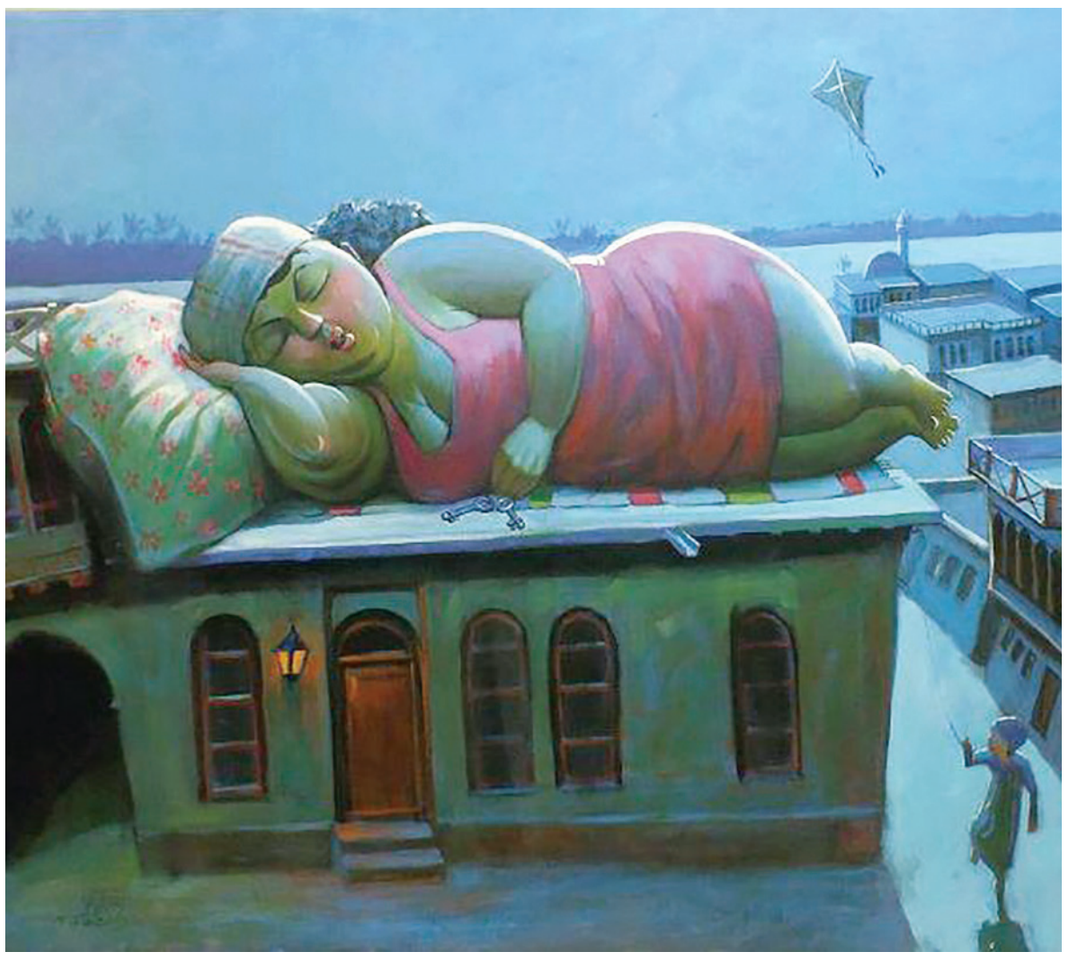

arabi.assafir.com

المزيد على موقع «السفير العربي»
ـ الحرب والمطر..عن اليمن الذي ينسى أن يموت ـ فارع المسلمي
ـ الحرّ و«الموت المفتوح».. يوميات مصرية ـ منى سليم
ـ تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي ـ Assafir Arabi
ـ تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

.. بألف كلمة

الهجرة

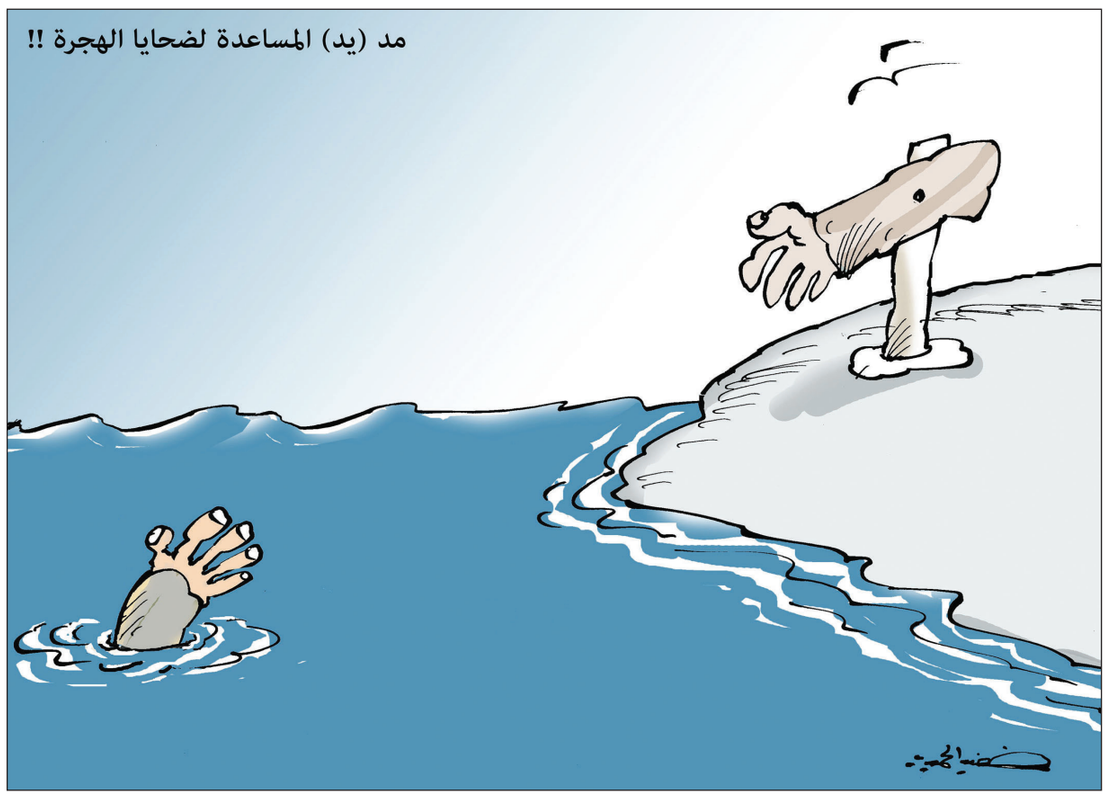

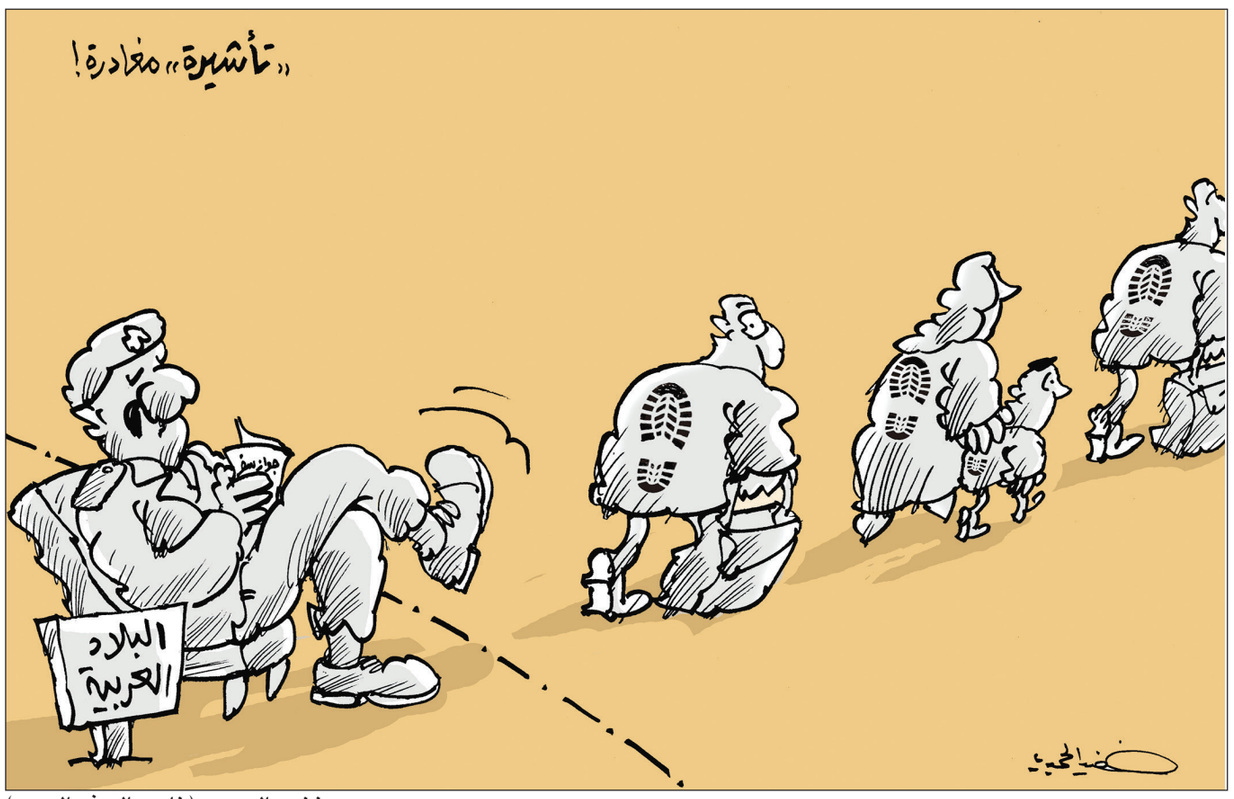

رسم: خضير الحميري (خاص «السفير العربي»)

مدونات

طعام لصغيرة تونسية..

ثمة عباد في العالم قدرهم يورثوا المليارات والعقارات، وثمة عبادٌ قدرهم يورثوا الجينات المعطوبة والحمض النووي اللي فيه تشوّهات، أو الفقر والبؤس. لا موش الفقر بل الفقر المدقع. اليوم أناشد: عندي مريضة راقدة في قسم طب الأطفال بالمستشفى الجامعي ابن الجزار بالقيروان، مصابة بمرض maladie cœliaque اسمه بالعربية «حساسية القمح»، وهو مرض مزمن يصيب الأمعاء الدقيقة يجعلها غير قادرة على هضم المأكولات العادية التي تحتوي على القمح المتسبّب بإسهال مزمن وجريان جوف وحالة هزال ومشاكل بالدم. تطوّر المرض يوصل للسرطان. دواؤه الوحيد هو الحمية الغذائية، أكل من غير قمح لا خبز لا طحين ولا مكرونة لا كسكسي، تقريباً كلّ الأكل التونسي...

عمر البنت 13 سنة، تسكن 30 كم من المدينة في ريف القيروان في منطقة بعيدة عن كل المرافق، أبوها عاطل عن العمل، ضاقت به الدنيا فغادر إلى ليبيا منذ مدة قصيرة ليخدم في المرمة، أمها قاعدة في الدار مرات تعمل في الخياطة ومرات تخدم، على الأقل تحاول... الفتاة في حالة مزرية: حالة هزال فظيع، اكتئاب نفسي وفقر حاد بالدم... تشخيص المرض وقع منذ ست سنوات، لكن نظراً لظروفها المادية لم تبدأ العلاج... هذه الفتاة تستحقّ أن يساعدها أحد، هي وجه تونس الآخر، تونس التي لا يسمع بها أحد ولا تدخلها التلفزيونات والراديوات. كيف نعاونها؟

من صفحة fils d'oedip (فايسبوك)

فريق دفن الجثث المجهولة

حيثما يشتعل سعير الحرب تشتعل النيران وتترامى الجثث في أطراف المدينة. اجتمع شبابٌ متطوّعون يجمعهم منديل كشفيّ وعهد وشريعة، وأيد تمتدّ للمساعدة. بصمت لبّوا النداء تطوّعاً لمدينة يعشقونها، فوجدوا أنفسهم بين ثلاجةٍ موتى مكتظّة بجثث مجهولة الهوية أصرّوا على دفنها رغماً عن نار القذائف. في بنغازي الموتى هم ضريبة حرب مناطق النزاع والاشتباكات المسلّحة. لم يتمكّن من انتشال الجثث من تلك المناطق إلاّ شباب الهلال الأحمر الليبيي، يخرجون تباعاً بجثث مجهولة الهوية، لا مكان في المدينة يستقبلهم إلاّ ثلاجة مستشفى بنغازي الطبي. الحرب في أوجها بين الطرفين والجثث امتلأت بها ممرّات العبور بين الأقسام، ومن بينها جثث متحللة تفوح روائحها الكريهة. قرر هؤلاء الشباب أخذ الإذن وإبلاغ إدارة المستشفى والبدء فوراً بخطة عمل منظمة لدفن أكوام الجثث المجهولة.

يحدثني القائد الكشفي نور الدين مخلوف، أحد الشباب المتطوعين، بأن العمل لم يكن سهلًا كما توقعوه، ولكن العزيمة كانت هي البوصلة. فقد قاموا بحصر كل مجموعة على حدا، ثم قاموا بمساعدة الطب الشرعي بأخذ عيّنات DNA وتصوير كامل لكلّ ما هو موجود مع الجثة المجهولة مثل الحذاء أو الساعة أو سلسلة أو خاتم... ثم غسل الجثة تغسيلًا شرعياً وتكفينها ومنحها رقماً في القائمة... ويتمّ نشر الصور على لوحة خاصة بالمفقودين لتسهيل البحث على ذويهم حتى مرحلة الدفن...

من مدوّنة «أحلام البدري»
http://ahlamelbadri.arablog.org

عن معركة صنعاء

يحاول سكان صنعاء تجنيب العاصمة مواجهة مدمّرة ستستخدم فيها أقذر الوسائل وستسيل فيها دماء الآلاف.

وعندما أتحدث عن سكان صنعاء، فالكلّ يعرف أن سكانها هم خليط بديع من اليمنيين الذين أتوها من كل المدن والأرياف من الجنوب والشمال والغرب والشرق والوسط. إنهم من كل المناطق والمذاهب والخلفيات الاجتماعية والثقافية والتعليمية والسياسية.

تعز أسقطها أمراء الحروب وملوك الطوائف في مواجهة عبثية تحوّلت إلى مأساة فاجعة.

وحاولت إب ذلك فأبى أمراء الحروب وملوك الطوائف من طرفي الصراع إلا أن يشعلوها حرب تصفيات سياسية وطائفية ومناطقيّة. والآن يحاول تحالف الحروب الداخلية والخارجية نفسه الزجّ بصنعاء في عاصفة مدمرة ستؤدي إلى إسقاط اليمن كلها فى الفوضى.

كانت حرب عدن عبثية وكارثيّة، ولم يستوعب الحوثيون ذلك إلا بعد أن اندحروا مسببين شرخاً اجتماعياً ومناطقياً عميقاً بين الشمال والجنوب. وكانت حرب البيضاء طويلة وعبثية ولم تساهم إلا في تجييش المجتمع لصالح القاعدة وتعميق الشرخ الطائفي بين مَن يعتبرون أنفسهم سنة ومَن يعتبرون أنفسهم شيعة. ولا زالت حرب تعز تقدّم درساً واضحاً لعبثية الحروب الأهلية والدموية عند طرفي النزاع ومساهمتهم في تدمير الدول والمجتمع والبنية التحتية.

خطاب الكراهية والطائفية صار يرفع شعار «يجب أن تُدمّر صنعاء مثلما تمّ تدمير عدن وتعز». ولسنا بحاجة للردّ على هذا الخطاب الأهوج والأحمق الذي يحتجّ على الدمار مُطالباً بالمزيد من الدمار.

من صفحة Hussein alwaday (فايسبوك)